

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

قمر الزمان شميم\*

### Abstract

This article focuses on the art of letter writing and Abdul Hamid Al-Katib, one of the earliest epistolographers in Arabic literature. The Letter is an important branch of Arabic prose literature. It is an eloquent statement written by a person about certain concepts in his mind in the form of messages which is to be sent to a particular person. It was originated by Arab writers. But differences of opinions exist between Arab writers and historians regarding its inception. However, its development is related to the establishment of systematic rule and currency of writing tradition. The Arab in pre-Islamic era used it at the lowest estimate in a manner of brevity. But Arab did not know about the artistic prose in detail. The reason is due to little demand of letter writing and lack of currency of writing tradition. With the advent of Islam increase the need to send messages to the kings, princes and sultans to the call of Islam. As a result, the practice of letter writing developed in Arab society. When the Khilafat transferred to Umayyad, the Arab mixed with other civilized nations and took substantial portion of civilization and culture. On the other hand, official language changed into Arabic in Muslim world and Umayyad rulers appointed writers in their administration. It is to be mentioned that Abdul Hamid Al-Katib was appointed as a chief writer in Umayyad dynasty. He was the pioneer of the art of letter writing which was explored by him. He put its rules and laws and pointed out parallel, varying the introduction, the conclusion and greetings which were not done by any one before. In his time and later, the writers and artists received his rules and laws in their letters and followed his pattern in their literary work. It is considered that Abdul Hamid Al-Katib started the art of letter writing because he managed to formulate its content and form according to specific pattern. In this regard, Al-Thaa'libi said: "letter writing began with Abdul Hamid and ended by Ibn - Al -A'meed". Consequently the letter writing turned into the artistic prose in detail.

Keywords: Letter writing, Abdul Hamid Al-Katib, Style, Characteristics, Thought and Illustration

### المقدمة

\* محاضر، قسم العربية، جامعة داكا

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

إن فن الترسل يعتبر فرعاً من أهم الفروع للنثر العربي، و قد نما بتقدم الكتابة وازدهار السياسة عند العرب، و هو عبارة بليغة يقوم على ترجمة ما يدور في الذهن من كلام حول موضوع معين بشكل رسالة ثم ترسل إلى شخص معين، استخدمه العرب في الجاهلية بشق قليل بقله الكتابة والحاجة إليه، و لما جاء الإسلام فازدادت حاجته للدعوة إلى الملوك والأمراء والسلاطين، فقد أرسل الرسول صلى الله عليه و سلم عدة من الرسائل إلى ملك الحبشة و ملك الروم و ملك الفارس، و لما عهد عمر رضي الله عنه (13-24هـ/634-644م) في الخلافة الإسلامية، فدون الدواوين أولاً في الإسلام<sup>1</sup> و يسجل أعطيات الناس و أموال الفيء و الغنائم، و يرسل الرسائل إلى الولاة بأمور الخلافة، حتى إذا ولي معاوية (41-61هـ/661-680م) الخلافة فأقام ديوانين، ديوان الرسائل و ديوان الخاتم،<sup>2</sup> فمن ذلك الحين عُد ديوان الرسائل أهم الديوان في الخلافة الإسلامية، لأن الخلفاء يرسلون الرسائل إلى الأمراء والولاة بأمور الخلافة حتى أنهم يتخذون كاتباً الذي يكتب الرسالة بأمور المتعلقة بالحكم والسياسة.

و لما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة (105-125هـ/724-743م) فعين عبد الحميد كاتباً في ديوان الرسائل، حتى جاء مروان بن محمد إلى الخلافة (127-132هـ/744-750م) أصبح عبد الحميد رئيس ديوانه، فبات يكتب الرسائل الرائعة بأمور الخلافة المختلفة، و إن كتابته رسالته ليس منحصرًا في الرسائل الديوانية فقط بل هو كتب أيضا الرسائل الإخوانية والرسائل الأدبية والرسائل العلمية، و إن كان فن الرسالة رائجا قبل عبد الحميد الكاتب في الأدب العربي، و لكنه كان بطريقة الإيجاز في موضوعات قليلة، ثم تلوّن بلون جديد بيد عبد الحميد الكاتب، فقد أدخل فيه طريقة خاصة، فإنه كان أول من أطال الرسائل ونوع الخطاب مراعاة لأحوال الخاطبين وتفنن في التخلص والاستطراد في لغة متينة وديباجة سهلة، فانتقل فن الرسالة من الطريقة الإيجازية إلى الطريقة التفصيلية، و وضع أيضا الأساليب الكتابية و ضوابطها، و بذلك يعد عبد الحميد الكاتب رائد التأليف في الكتابة و ضوابطها، و على الرغم من أهميتها فإن هذا الفن لم يحظ نصيباً من العناية من الأدباء والباحثين، فأود أن أشير إلى بحث هذا الموضوع مؤجزاً في هذا المقال لكي يكون القراء والدارسون

على دراية منه، فأولا أريد أن أعرض الكلمات حول فن الترسل ثم عبد الحميد الكاتب.

### معنى الترسل لغة واصطلاحا

**معنى الترسل لغة:** الترسل يجذر من كلمة رسل: و معناه كما يلي: ترسل: تمهل و ترفق، يقال: ترسل في كلامه و قراءته و مشيه، ترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلا من غير سجع، ترسل في الركوب: بسط رجليه على الدابة حتى يرخي ثيابه على رجليه حوله.<sup>3</sup> والترسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتوقر والتثبت، والرسول: بمعنى الرسالة، و معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رسلا أي متتابعة، و نثر مرسل: لا يتقيد بسجع، و ترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلا من غير سجع.<sup>4</sup> و قد تبين من المعاني التي ذكرناها سابقا من المعاجم المختلفة، أن الترسل هو الترفق، والتمهل، والتؤدة في القراءة والمشى؛ و الكلام الذي أتى به الكاتب مرسلا من غير سجع، أو أنه كلام يرسل من بعيد.

**معنى الترسل اصطلاحا:** إن الترسل هو مصطلح أدبي، يقوم الكاتب بترجمة ما يدور في ذهنه من المفاهيم حول موضوع معين على شكل رسائل، و قد يكون رسمية، أو إخوانية، أو أدبية، أي أن الكاتب يظهر أفكاره بكلمات متتابعة، يألف بها جملا و فقرات بأسلوب فيه تؤدة و سهولة و رفق من المرسل إلى المرسل إليه. يجمل لنا أن نذكر بعض التعريفات للترسل من الأدباء:

- 1- يقول حسين غالب في كتابه المشهور "بيان العرب الجديد": "الترسل هو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر."<sup>5</sup>
- 2- يقول محمد التونجي، صاحب المعجم المفصل في الأدب: "الترسل ما يكتبه المرء إلى صديقه أو إلى أهله و تكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب، خالية من التأنق اللفظي غالبا."<sup>6</sup>
- 3- يقول مؤرخ الأدب العربي الشهير جرجي زيدان: "و قد يعنى الترسل إنشاء المراسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، و هو الذي يتغير مع الأعصر، و يشتمل على المراسلات والخطب و مقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة."<sup>7</sup>

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

و يمكن لنا أن نلخص تعريفات الأدباء في عبارة تالية: الترسل هو عبارة وجيزة أو طويلة يكتبها المرء إلى أهله أو صديقه مخبرا أفكاره التي تدور في قلبه، أو يوجه مقام رسمي إلى رسمي آخر مبينا بالإرشادات والتوجيهات التي يتناولها المكتب الرسمي بمصالح الأمة.

### أنواع الرسائل

أ- **الرسائل الديوانية:** تسمى الرسائل التي تصدر عن ديوان الرسائل بالرسائل الديوانية نسبة إليه، يقول عبد العزيز عتيق عن الرسالة الديوانية: "وهي الصادرة عن ديوان الخليفة، والأمير يوجهها إلى ولاته و عماله و قادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانا منذراً متوعداً"<sup>8</sup> يعني هذا النوع من الرسائل يتبادله الحكام والولاة و قواد الجيش، و يصدر عن دواوين الحكام والولاة والأمراء، و يُعنى بأمور الدولة و شؤونها السياسية، يراعى فيها دقة المعلومات و رسوم المتعارف عليها، و يتضمّن من العهود والتقاليد وانتقال الخلافة والفتوحات والدعوة إلى الطاعة، والحثّ على الجهاد و ما إلى ذلك من موضوعات ذات طابع رسمي إداري.<sup>9</sup>

ب- **الرسائل الإخوانية (الشخصية):** يطلق اسم الرسائل الإخوانية على جميع الرسائل غير الديوانية، يقول القلقشندي عن هذا النوع من الترسل: "الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان، والمراد المكاتبه الدائرة بين الأصدقاء،"<sup>10</sup> هذا النوع من الرسائل يكتب شخص إلى شخص آخر من أهله أو صديقه من عواطفه و مشاعره و اعتذاره و عتابه و ما إلى ذلك، و قد ظهر الرسائل الإخوانية في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وازدهر في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه بسبب رقي البريد في نشر الرسائل، وانتشرت هذا النوع من الرسائل في العصر الأموي لازدهار فن الكتابة، و عناية الأدباء إليه خاصة، و تمتلئ الرسائل الإخوانية بالمشاعر والعواطف والعتاب والتنهاني والاعتذار، و يتصور فيها كثير من آراء الناس و أخلاقهم و عاداتهم و أحوال الأمة التي يعيشون فيها.<sup>11</sup>

ج- **الرسائل الأدبية:** تطلق الرسائل الأدبية على ما يكتبها شخص في موضوع، يظهر فيها الأسباب الأدبية والمحسنات البديعية، و لا تطول لتصبح كتابا كبيرا، يكون حجمها مثل المقالة، و كانت هذه الرسائل أول الأمر كالمراسلات العادية بين الشخصين ثم تطاول نطاقها بازدهار الفن الأدبي في مر العصور، فأخذ الأدباء يكتبون مثل هذه الرسائل، يبينون فيها النصائح والإرشادات والتوجيهات للذين يريدون أن يحصلوا المهارة

على هذا الفن، كرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكاتب،<sup>12</sup> و تكون فيها حرية للكاتب من اختيار حسن الألفاظ، واستخدام المحسنات البديعية، واستعمال التشبيهات والاستعارات مع جودة في سبك الجمل و وضوح المعاني ما يشاء.

### فن الترسل نشأة و تطورا

لاشك أن فن الرسائل قديم جدا، و له صفحات مضيئة في تاريخ الأدب العربي، و قد ألفت فيه كتب و دواوين كثيرة، و نهج كل أديب منهاجا يختص به، و قد جرت الاختلافات بين الأدباء والمؤرخين في نشأته، و لكن ازدهر وانتشر انتشارا واسعا في القرنين الثالث والرابع الهجريين خاصة عندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية إلى درجة عالية في مختلف الميادين والمجالات، وأن فن الترسل فن نثري يُظهر مقدرة الكاتب و موهبته الكتابية و روعة أساليبه البيانية المنمقة القوية، و إلقاء الضوء على نشأته و تطوره عبر العصور كما تلي:

**العصر الجاهلي:** إن فن الترسل يوجد في الأدب الجاهلي بأقل تقدير بطريقة الإيجاز، و لكن الترسل الذي كان من النثر الفني التفصيلي لم يعرف العرب بهذا الموضوع، كما قال الدكتور طه حسين: "العرب في الجاهلية لم يكتبوا نثرا فنيا، و عرفوا ألوانا من البلاغة في محاوراتهم و خصوماتهم"<sup>13</sup> والسبب يرجع إلى قلة الدواعي إليه و أن الكتابة كانت نادرة بينهم، بل كان الذين يعرفون الكتابة في هذا العصر قلة نادرة، فلهذا لم يكن للرسائل دور في حياتهم الأدبية في ذلك العصر و إنما ازدهر عندهم الشعر والنثر الذي ينحصر في الفنون الثابتة على المشافهة والقولية القائمة على جد اللسان والإجادة في الإيضاح والإفصاح من الخطابة والوصية والحكم والأمثال و سجع الكهان، و هذه كلها من الفنون النثرية الإجازية، أما فن الترسل من الفنون النثرية التفصيلية، فهو كان غير معروف عند العرب الجاهلي لقلّة الكتابة، لأنه متأخر النشأة عند العرب بعد العصر الجاهلي، و لكن ممن عرف الكتابة من الجاهلية استعملوا بعض الرسائل بينهم للتعبير عن بعض شؤونهم الحياتية، فهذه الرسائل تكون في قوالب تشبه الحكم والأمثال، لا يوجد فيها تحليل و لا تفصيل و لا شرح، بل تُكتب في لفظ وجيز برئ من الصنعة المقصودة، فكانت الفنون القولية أكثر رائجة في العصر الجاهلي من فن الكتابة، لأن العرب عامة أقدر على الخطابة منهم على الكتابة.<sup>14</sup>

**العصر النبوي:** و لما جاء الإسلام، نما و ازدهر فن الترسل، لكن في أول الأمر قام الرسول صلى الله عليه و سلم بنشر دين الحق في مكة المكرمة

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

بالخطابة، و يدعو الناس إلى دين السلام ليلا و نهارا، و يخطب أمام الناس في النوادي والمجالس خصوصا في مواسم الحج اجتماعا أو انفرادا، ففشت الخطابة فشوا عظيما، و كثرت الأهمية لها يوما فيوما، و إنما كانت الوسيلة الوحيدة لنشر دعوة الإسلام هي الخطابة، و لما انتشر الإسلام من مكة المكرمة إلى أنحاء جزيرة العرب حتى المدينة المنورة، هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إليها، واستقر به المقام فيها، و أقام فيها دولة إسلامية متخذا عنها كعاصمة الدولة الجديدة، فمست الحاجة إلى أن تكتب الرسائل إلى ولاة القبائل و أمراء الدول بالدعوة إلى دين الإسلام، فأخذ النبي صلى الله عليه و سلم أن يرسل الرسائل إلى الملوك والرؤساء والحكام والسلاطين من أكبر الدول المحيطة بها، إضافة إلى أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام، و من الملوك والرؤساء الذين أرسل النبي صلى الله عليه و سلم إليهم الرسالة، هم هرقل ملك الروم، و كسرى ملك الفارس، و المقوقس عظيم القبط في مصر، و النجاشي ملك الحبشة، و وائل بن حجر في حضرموت.

**العصر الراشدي:** في عهد الخلفاء الراشدين قد ظل أدب الرسائل غالباً امتدادا للمكاتبات النبوية، إذ بقيت الرسائل في هذا العصر متأثرة بتلك التيارات المختلفة منذ فترة مبكرة، و أضافت إليه ما استجد من أحداث خطيرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم، و لقد استلم أبو بكر صديق رضي الله عنه (11-13هـ/632-634م) راية الخلافة بعد رحلته صلى الله عليه و سلم من الدنيا، فواجه فتنة من الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية من الروم والفارس واليهود، و بعض القبائل العربية، و وقف في وجه المرتدين الذين أعلنوا ارتدادهم عن الإسلام، فيرسل رسالة إلى القبائل المرتدة يذرهم عاقبة فعلتهم، و إلى الولاة من دولته بإلقاء التوجيهات المتعلقة بأمور الدين والخلافة، و أن المكتوبات كانت تكتب حول الأحداث المختلفة الناشئة في الدولة الفتنية، و يجري أسلوب الكتابة في هذا العهد على نسق كتابة العهد النبوي.

ثم تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-24هـ/634-644م) الخلافة عقب وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والدولة الإسلامية اتسع نطاقها بكثرة الفتوحات في خارج جزيرة العرب، و تسربت إلى بلاد الإسلام حضارات الأمم المجاورة من الروم والفارس، و تعددت مطالب الدولة الإسلامية في مختلف شؤون الحياة، و كثرت أموال الغنيمة التي ترد إلى الخلافة مع الفتوحات الجديدة، فلذلك أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة دواوين التي تلزم لإدارة شؤون الدولة، خاصة

ديوان الإنشاء أو ديوان الرسائل التي تهتم بالمكاتبات و حفظ الوثائق الرسمية، والمعروف أن عمر كان أول من دَوّن الديوان من العرب في الإسلام،<sup>15</sup> فازدهر فن الرسائل في الأمور الإدارية ازدهارا واسعا لأجل ازدياد المكاتبات إلى القادة والولاة والعمال والقضاة، كما اتسع في أمور الدين، و من ألوان الرسائل التي شاعت في هذا العصر بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية هي الرسائل الشخصية، و قد شاع هذا اللون من المراسلات لتدقق كبار الصحابة وغيرهم من الأجناد الذين ابتعدوا عن مركز الخلافة إلى تلك الأمصار المختلفة ارتباطا بالخليفة أو الحاكم.

ثم جاء عصر عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه (24-36هـ/644-653م)، واستمرت أنوار الخلافة تسطر في أرجاء الأرض، و راحت تزداد مطالب دولة الخلافة، فظلت الرسائل تستمر على نهج عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و أن عثمان رضي الله عنه أرسل الرسائل إلى أصحاب الشأن من المحاربين و أهل الثغور و إلى الولاة والقضاة، و أخذت الرسائل منذ عهد عثمان تتلون بألوان جديدة، فقد طفق بعض الصحابة يتراسلون فيما بينهم في أمور سياسية مختلفة، لاسيما سياسة الخليفة و تغييره و تبديله كما ناقشوا سياسة عماله و ولاته في الأمصار الإسلامية، و يتصل بهذا اللون من المراسلات السياسية، ما وجه إلى الخليفة مباشرة من رسائل انتقادية ذات مغزى سياسي واضح الملامح، و كان كثير من تلك الرسائل على نقد سياسة الخليفة، والكشف عن سقطاته و أحداثه.

انتقلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (36-41هـ/656-659م) بعد أن استشهد عثمان رضي الله عنه في يد أصحاب الفتن، و تستمر الفتن التي استهلكت في عهد الخلافة لعثمان رضي الله عنه، و بدأت الخصومة والخلافات بين علي و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (41-61هـ \ 661-680م) حول الخلافة بطور جديد، فكثرت الرسائل والمكتوبات خاصة وقع التراسل بين فريقه والفريق الأموي، حيث سميت هذه الرسائل فيما بعد بالرسائل الديوانية أو الرسمية بسبب اتخاذها الطابع الرسمي، و أرسل علي رضي الله عنه أيضا الرسائل إلى الأمراء والقواد و عمال دولته بإدلاء الإرشادات والتوجيهات حول الأحداث والفتن الناشئة في الدولة الإسلامية، كما كتب الرسائل إلى زعماء القبائل المختلفة و أفراد المجتمع المهمة سواء كانوا مواليين له أو مناهضين لحكمه الذين كان لهم ارتباط وثيق بالأحداث السياسية والدينية،

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

و تعد رسائل علي رضي الله عنه من الوثائق المهمة من الناحية السياسية والاجتماعية والدينية مع إضافة إلى جمال أسلوبها البلاغي و قيمتها الأدبية العالية، و تجري رسائله بطريقة موجزة و مفصلة استجابة لمقتضيات الأحوال، و في الغالب كانت الرسائل تكتب بلغة مترسلة تختلف عن لغة الخطابة، و أحيانا تسير هذه المكتوبات والرسائل على نهج رسائل عثمان رضي الله عنه.

**العصر الأموي:** اتسع فن الرسائل والكتابة في العصر الأموي اتساعا طبيعيا بطريقة اتساع العصر الراشدي، وازداد نشاطه سريعا لتواجد البيئة الملائمة في هذا العصر، لأن الدولة الأموية امتدت امتدادا واسعا في الشرق والغرب من عصر ما قبلها، و كثرت مصالح الدولة تعقدا و تعددا، واشتدت المنافسات بين القبائل والأحزاب، وامتزج العرب بغيرهم من الأمم الراقية الحضارية، فأخذوا منهم بقسط وافر من التحضر والثقافة، و نقلوا منهم نظم الحكم والديوان و صناعتهم، و أساليب التفكير والكتابة و وجوه أداء اللغات، هذا كلها ساعدت في تطوير كتابة الرسائل و تنميتها في هذا العصر سريعا بالطريقة الفنية.

و قد رفع راية الخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (41-).

61/661-680م) على دمشق متخذاً منها عاصمة الدولة الجديدة، فأنشأ

ديوان الرسائل و ديوان الخاتم، و أنه اتخذ عبيد الله بن أوس كاتباً على ديوان الرسائل، و كتب أيضا عليه كل من يحيى بن يعمر، و روح بن زنباع، و هم كانوا من العرب الخالص، و في عهد عبد الملك بن مروان (64-86/683-705م) عُربت الدواوين الموجودة في الدولة الأموية من

الشام و فارس و مصر، و في عهد هشام بن عبد الملك (105-).

125/724-743م) اشتهر هذا الديوان بالافتنان، و هذا يساعد في انتشار

ديوان الرسائل في الولايات الإسلامية المختلفة، و أن محاولة نشأة الرسالة و تطورها كانت أولا في يد كتاب العرب، ثم شاركت روافد الفارسية واليونانية في أثناء سيرها و أمدتها إلى الدرجة العالية، حيث نرى الموالي من الأعاجم يتنافسون العرب في هذا الميدان كسالم مولى هشام بن عبد الملك، و عبد الحامد الكاتب.<sup>16</sup>

**العصر العباسي:** انتقلت راية الخلافة من بني أمية إلى بني العباس، واستقرت الدولة الإسلامية بيد بني العباس في بغداد اتخذها عاصمة الدولة الجديدة، فجعل الناس ينعمون بالحضارة والثقافة و ترف الحياة و رغد العيش، والشعراء والكتاب يجدون بيئة ملائمة لإظهار أفكارهم و ترتيب معانيهم في الحياة الناعمة، و ظل النثر الفني سائرا في طريقه إلى



التطور والتقدم، و قد تأثر الشعراء والأدباء بأساليب الكتابة و وجوه أداء اللغات من الأمة المجاورة الفارسية مباشرة، كما تأثر الخلفاء والأمراء بنظم حكمهم و عادات حياتهم، فأخذ الأدب يتدرج في التثمين و الزخرف كما تدرج الناس في تثمين ألبستهم و أطعمتهم و سائر مرافق حياتهم، و كثر فيه استعمال البديع والسجع، و قام الكتاب والأدباء بالتعبير عن أفكارهم تفكيراً عميقاً و ترتيب معانيهم ترتيباً دقيقاً و وقفوا على الألفاظ المتخيرة والعبارات المزخرفة و الديباجة الكريمة والأداء الجيد، فأصبحت الكتابة صناعة محضة، كان الترسل في العصر الأموي في أغلب الأحيان فنا رسمياً يتعلق بأمور الدولة،<sup>17</sup> و قد أصبح في العصر العباسي فنا أدبياً بالعامية يتعلق بكافة أمور الحياة.

#### نبذة من حياة عبد الحميد الكاتب

هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد<sup>18</sup> و قيل سعيد<sup>19</sup> الملقب بالكاتب، و هو مولى العلاء بن وهب العامري القرشي فنسب إلى بني عامر نسبة ولائية،<sup>20</sup> و يكنى بأبي الغالب، و كان أبوه من سلالة غير عربية من أهل الشام الذين دخلوا في الإسلام و تعلموا العربية، و لعل مولده كان في سنة 60هـ/680م في مدينة الأنبار على نهر الفرات ثم انتقل أهله إلى الرقة،<sup>21</sup> و قال بعضهم أنه ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك، في دمشق أو قريباً منها،<sup>22</sup> و هو فارسي الأصل<sup>23</sup> من غير عربي، و قيل هو شامي، من أهل الشام على الأرجح،<sup>24</sup> و منهم من اعتبره بأنه عراقي، نشأ بالأنبار<sup>25</sup> و سكن الرقة، تعلم عبد الحميد الكاتب اللغة العربية و بلاغة العرب و تفوق فيهما، فسلس لسانه، و جادت لغته، و ظهرت مواهبه في الأدب و البلاغة و البيان و الخطابة و الكتابة، و قد امتحن حرفة التعليم في بداية حياته في الكوفة، فأخذ يمارس تعليم الصبية،<sup>26</sup> ينتقل في القرى في كتاتيبها من بلد إلى بلد آخر، فلم يستقر في بلد، ثم تلمذ في الكتابة على يد أبي العلاء سالم بن عبد الله، مولى هشام بن عبد الملك و كاتبه السياسي، حيث كان سالم ختن عبد الحميد، و هذا يعني أنه كان والد زوجة عبد الحميد أو أخاها.<sup>27</sup>

و لما عرف الخليفة هشام بن عبد الملك مهارة عبد الحميد الكاتب بفصاحة لفظه و بلاغة بيانه، قام بالتحاقه بديوانه، فجعل يكتب له الرسائل البارعة و ما زال يعمل في ديوان الرسائل طوال مدة خلافته، حتى اشتهر ببراعة

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

بيانه و مهارة كتابته بين الكتاب، فلقب بعبد الحميد الكاتب الأكبر<sup>28</sup> تقديرا و تعظيما لشأنه في باب الكتابة والترسل، و عندما بايع الأمير الأموي مروان بن محمد حاكما لإقليم الجزيرة و أرمينية، فقرب مروان إلى نفسه عبد الحميد الكاتب بشهرة كتابته، و عينه كاتبا له في شؤون ديوان الرسائل، حتي إذا تولى مروان الخلافة (127-132هـ/744-750م)، صار عبد الحميد الكاتب رئيسا لديوان الرسائل<sup>29</sup> في دمشق والكاتب الأول للخليفة الجديد، و جعلت تصدر عنه رسائل أدبية و سياسية، فنالت شهرته الفنية والأدبية في سائر الدولة الإسلامية، و يصحبه في مدة خلافته إلى أن هزم مروان في موقعة الزاب بيد العباسيين، ثم ولى معه إلى مصر حيث قُتل معا في معركة بوصير من أرض الفيوم سنة 132هـ<sup>30</sup> على يد السفاح العباسي، و روي أنه عثر عليه مختبئا عند صديقه عبد الله بن المقفع (106-142هـ/724-759م) بعد مقتل الخليفة مروان بن محمد، حيث أخذ إلى السفاح، و قتل في نفس سنة مقتل مروان بن محمد، و له سبعون سنة<sup>31</sup>.

### فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب

عبد الحميد بن يحيى هو الكاتب البليغ المشهور في الأدب العربي، و هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل، و جعل الكتابة الديوانية صناعة من الصناعات، فبه يضرب المثل في البلاغة والكتابة، حتى قيل "فتحت الرسائل بعبد الحميد و ختمت بابن العميد"<sup>32</sup> و هو أول من عين طريقة خاصة في الكتابة والإنشاء، و وضع أصولا و قواعدا للكتاب في فن الترسل كالإطناب، والتحميد، والمنطقية في العرض، و قواعد المطلاع والختام و ما إلى ذلك، فصار إماما في هذه الصناعة،<sup>33</sup> والمترسلون أخذوا عنه الطريقة والأصول في الإنشاء واقتفوا آثاره في الكتابة، يقول السيد أحمد الهاشمي في شأنه: "و هو شيخ الكتاب الأوائل، و هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل، و كان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفئدة و جذب النفوس"<sup>34</sup>.

إن عبد الحميد بلا ريب كان ذا أثر كبير في الكتابة الأدبية الفنية في عصره، و الحق أن النثر الفني تطور تطورا واسعا عنده، فقد تحولت الرسائل عنده إلى رسائل أدبية حقيقية تكتب في موضوعات مختلفة،<sup>35</sup> لأنه لما دخل في حقل الكتابة والإنشاء، رأى أن الكتابة كانت حديثا مكتوبا

لا ترجع إلى نظام و لا تحور إلى فن و لا تعد في الصناعات الشريفة،<sup>36</sup> والكُتاب قبله يعتمدون على فطرتهم و سجيّتهم و ما اكتسبهم بالممارسة من أساليب البيان، لا نظام لهم معين و لا طريقة لهم محددة، فجعل عبد الحميد الكاتب للكتابة والإنشاء قواعد معينة، و شرع لها رسوما محددة، و شق لها طريقا جديدا استحسناها الناس و يتبعها الكتاب، فلذا قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد،<sup>37</sup> و هو كان زعيم الأدب الرسمي و يرجع إليه الفضل في جعل أسلوب الكتابة في الدولة أسلوبا أدبيا عاليا.

كان عبد الحميد الكاتب زعيم النهضة الكتابية في عصره و ما بعده، و هذه القدرة الكتابية قد اندرجت فيه بسبب المهارة في العلوم العربية و فنونها، و فن الترسل والكتابة، والثقافة الأجنبية و آدابها، أما العلوم العربية و فنونها ما تعهد بها عبد الحميد من ثقافة علمية و دينية و تاريخية، حيث تفقه في كتاب الله والفرائض، و أتقن العربية و خطها، و تمكن أيام العرب والعجم، و طالع الأدب العربي نثره و شعره حيث أفاد من ناحية النثر كثيرا من بلاغة علي كرم الله وجهه، إذ كانت خطبته أساسا هاما في ثقافة عبد الحميد و توجيه أسلوبه، و من ناحية الشعر أضاف الإفادة من شعر إمرئ القيس (497-545م) و زهير (502-609) و من على شاكتهما من الشعراء الجاهلين حيث اطلع بها الوصف بالصيد و جوارحها والمعارك من حمر الوحش و أعضائها<sup>38</sup> إذ ظهرت هذه في فن ترسله.

و أن فن الترسل والكتابة والثقافة الأجنبية و آدابها اطلع عليها عبد الحميد بطريقة الكاتب السياسي لهشام بن عبد الملك أبي العلاء سالم و صديقه ابن المقفع (106-142هـ/715-760م)، فقد تلقن فن الرسالة والكتابة على يد أستاذه سالم الذي كانت له مهارة جيدة في إنشاء الرسائل الديوانية والكتابة الفنية، و أنه كان يحسن معرفة اللغة اليونانية و ينقل عنها رسائل كثيرة إلى العربية، فلقد اطلع عبد الحميد على اللغة اليونانية و ثقافتها بطريقة ترجمة سالم من الكتابات اليونانية و أفاد من طريقته في الكتابة إفادة كبيرة أثرت في ترسله و حياته الكتابية، كما اطلع عبد الحميد على كثير من آثار اللغة الفارسية و ثقافتها بعد ترجمتها على يد ابن المقفع، الذي كان فارسي الأصل و أحد المترجمين من اللغة الفارسية إلى اللسان العربي كذلك، و عبد الحميد كان أيضا من فارسية الأصل، فليس من شك في أن صلة عبد الحميد بالثقافة الفارسية أوضح منها بالثقافة اليونانية، و لكن هذا الاطلاع على اللغة اليونانية والفارسية غير مباشر، بل كان

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

بطريق أستاذه سالم و صديقه ابن المقفع،<sup>39</sup> و ذلك كله يدعنا أن نرجح أن عبد الحميد إلى جانب ثقافته العربية كان يعرف اليونانية والفارسية، فلذا استطاع عبد الحميد الكاتب أن يكتب الرسائل بدقة النظر والذوق السليم والأسلوب البارع بأي موضوع شاء، و يصور الأشياء في الكتابة التي يطلع عليها بالمشاهد و ينقلها نقلا حسيا بوسائل اللغة و أساليب البيان. كان عبد الحميد ذا عبقرية كبيرة و ذهن لامح، و ذكاء خصيب، استطاع بها أن يعد نفسه بالعلوم الإسلامية والفنون العربية مع الثقافة الأجنبية من اليونانية والفارسية، و أن يجعل نفسه بعلوم واسعة لسياسة الدولة و شتى أمورها مع إحاطة القواعد العسكرية والبلاغة عن طريق المصاحبة والملازمة من مروان بن محمد، حيث تمكن أن يحمل راية الابتكار في فن الكتابة و إنشاء الرسالة، و أن يلعب مسؤوليات السياسة والعسكرية مع قدرة فائقة على تملك ناحية البيان و زمام التأثير، و روعة التعبير.

### موضوع ترسله

النثر الفني عربي النشأة، والعرب يكتبون رسائل فنية قبل عبد الحميد، و لكنه شارف على النضج بيده حتى وصل الى ذروة عالية، لقد كتب رسائل كثيرة، يبلغ مجموع رسائله مقدار ألف ورقة،<sup>40</sup> منها الرسائل القصار جدا و الرسائل الطوال جدا في موضوعات مختلفة من سياسية و أدبية و إخوانية، والموضوعات التي عالجهها عبد الحميد كما تلي:

أ- الرسائل الديوانية: جعل عبد الحميد الكتابة الديوانية صناعة من الصناعات،<sup>41</sup> و أنه كان كاتباً للديوان الأموي لمدة طويلة، خاصة كان الكاتب الرئيسي لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، و قد كتب رسائل كثيرة ديوانية صدرت من الديوان الأموي، و لم تكن هذه الرسائل في شؤون سياسية رسمية، بل كانت في نصائح عامة مختلة،<sup>42</sup> حيث بين فيها الجوانب الأخلاقية والسلوكية كما تناول فيها آداب الملوك مع رعيتهم و قواده و جيوشه، و له رسائل طوال من هذا النوع من الرسائل التي كتبها على لسان مولاه مروان بن محمد و وجهها إلى ابنه عبد الله، مثلا حين أرسل الخليفة مروان ابنه إلى محاربة الضحاك بن قيس الشيباني رأس الخوارج في الجزيرة، و قد جعلها عبد الحميد دستوراً كاملاً في تنظيم الجيوش حيث ألقى فيها أمور الحرب و آداب القواد والجيوش.

ب- الرسائل الإخوانية: هذه النوع من الرسائل الذي وجهه عبد الحميد إلى الكتاب، و جعله مجموعة نُظْم و قواعد لآداب الكتابة، و ضمنه توجيهات قيمة للكتاب،<sup>43</sup> و قد وصف فيه عبد الحميد صناعة الكتابة و

أهمية الكتاب في تدبير الحكم و ما ينبغي أن يتحلوا به من آداب ثقافية و خلقية تسمو بها نفوسهم و تعلق مكانتهم، و يصلح شأنهم بين الناس، و تتميز هذه الرسائل بالجزالة والقوة والعناية باللفظ والمعنى على السواء مع تحليتها بالأسلوب الجميل والتصوير البديع والأفكار العميقة.

**ج- الرسائل في الشطرنج:** هذه الرسائل قد كتبها عبد الحميد الكاتب أيضا على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بمنع الناس من اللعب بالشطرنج، لأن الناس أدمنوا اللعب به حتى صرف بعضهم عن العبادة و عن اهتمام بمصالحهم، و رغب الولاة والحكام عن أداء الواجبات والقيام بالأعمال، فيدعو فيها عبد الحميد إلى الاقتصاد في هذه اللعبة والابتعاد عنها، و أن مثل هذه الرسائل لا يمكن أن تعد إخوانية، لأنها لا تزال تدور على أغراض من شأن منها، و لا ديوانية كما لا تزال جارية على شئ من السلطة الرسمية للخليفة.<sup>44</sup>

**د- الرسائل في وصف الصيد:** إن رسالة الصيد كتبها عبد الحميد ليخبر بها أمير المؤمنين، فربما يكون عبد الحميد على جماعة قامت برحلة الصيد، أو أن عبد الحميد كتب هذه الرسالة على لسان ولي العهد أو أحد الولاة ليخبر بها أمير المؤمنين، أو أن عبد الحميد كتبها ليظهر قدرته في الفن الإنشائي، و تعتبر هذه الرسالة من رسائل عبد الحميد الكاتب المطولة، و الذي أسهب فيها بوصف رحلة الصيد من أولها إلى آخرها.

#### خصائص أسلوبه في فن الترسل

يعد عبد الحميد الكاتب رائد فن الترسل، لأنه جعل الترسل فنا قائما بنفسه في الكتابة، و وضع معالم هذا الفن من القواعد والأصول،<sup>45</sup> و عين له أسلوبا و نوع له موضوعات يطررها و يحكمها، فهو منشؤه ومؤسسه بطور جديد في تاريخ الأدب العربي، حتى صار عبد الحميد مضرب المثل، و أصبح النموذج الأعلى والأول في فن الترسل، و أهم خصائص أسلوبه في فن الترسل كما تلي:

**1- استعمال التحميد:** قد جمع كثيرون على أن عبد الحميد الكاتب هو أول من استعمل التحميد في فصول الرسائل والكتب،<sup>46</sup> و كأنه تأثر في ذلك بتحميدات واصل وغيره من الوعاظ،<sup>47</sup> و أن الكتاب والأدباء قبله يستخدمون التحميد في افتتاح الرسائل، كما أنهم يأتونه بالإيجاز في كتاباتهم، و لكن عبد الحميد الكاتب هو الشخص الذي لا يستعمل التحميد في افتتاح الرسائل فقط، بل في فصول الرسائل أو فقراتها، كما استخدم في رسالة عنوانها "و له في الفتح" فقال: "والحمد لله الذي أكرم محمدا

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ...<sup>48</sup> فهذه العبارة نموذج لافتتاح عبد الحميد الكاتب رسالته بالتحميد. ومن الجمال أنه شمل الحمد والصلاة في جملة واحدة.

**2- إطالة الرسائل:** عبد الحميد الكاتب أول من أطال الرسالة<sup>49</sup> بطريقة لم تكن معهودة من قبل في الأدب العربي، و لكن إطالته كانت بحسب الموضوع، فإذا كان الموضوع يتطلب الإيجاز، فهو يوجزه بحسب المقام، و هو قد استطاع أن يتصرف في نثره الفني تصرفاً ذكياً يجمع بين طرفي الإيجاز والإطناب و يراعي شتى الأحوال والمقامات، كما نجد رسالته التي كتبها على لسان الخليفة مروان بن محمد لولي عهده عبد الله، الذي ولاه الخليفة قيادة الجيش، لقتال الضحاك بن القيس الشيباني الخارجي، فافتتح عبد الحميد بقوله: "أما بعد، فأن أمير المؤمنين- عندما اعتزم عليه، من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسرع في حيرة الجهالة، و ظلم الفتنة، و مهاوي الهلكة ..."<sup>50</sup> فهذه رسالة مطولة ما تقاربت خمسين صفحة، قد حاول عبد الحميد الكاتب أن يضع فيها خلاصة تجاربه في الحياة، و ما تولد عنده من حكم الرجل المجرب، و ما تحصل عنده من علم و معرفة منوعة بعبارة منمقة.

**3- تزيين الرسائل بالقرآن الكريم والحديث النبوي:** لن يغفل عبد الحميد عن تزيين رسائله بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، و قد اقتبس كثيراً من آيات القرآن الحكيم في كتاباته خاصة في تحميد الرسائل، و أفاد أيضاً رسائله بالأسلوب القرآني، كما نرى في رسالته عنوانها "تحميد له فتح،" فافتتح رسالته بقوله: "الحمد لله العلي مكانه، المنير برهانه، العزيز سلطانه، الثابتة كلماته، الشافية آياته، ... لا معدل لها عنه و لا سبيل لها غيره، و لا يعلم أحد بخفاياها و معادها إلا هو،" فإنه يقول في كتابه الصادق: "و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، و يعلم ما في البر والبحر ... إلا في كتاب مبين،"<sup>51</sup> هذا تحميد مشهور يسمع بعضه أحياناً في مقدمة خطبة يوم الجمعة،<sup>52</sup> فذكر عبد الحميد الكاتب في آخر رسالته آية مقتبسة من القرآن الحكيم، و تأثر أيضاً بالأسلوب القرآني في نسيج عباراته مثلاً: "اصطفى الإسلام ديناً ..."<sup>53</sup> مأخوذة من قوله تعالى: "و رضيت لكم الإسلام ديناً"<sup>54</sup>.

**4- التغشية بالملامح الدينية:** نضجت رسائل عبد الحميد بالثقافة العربية الإسلامية، و قد زخرف رسائله بالموضوعات الدينية والأوصاف

المحسنة والعقيدة الصافية، حتى ظهرت على رسائله الملامح الدينية الصافية، بعكس كتابات ابن المقفع التي ربما تعكس عقيدته الفاسدة كما لوحظ في رسالته التي كتبها على لسان الخليفة مروان بن محمد لولي عهده عبد الله، فقال: "واعلم أن احتواءك على ذلك، وسيقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا بها، وإضمار طاعته منطويا عليها ... ثم اجعل لله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه، و يظهر منك السلامة في إشرافه، من نفسك نصيبا تجعل لله، شكرا على إبلاغه إياك يومك ..."،<sup>55</sup>

ذكر الكاتب عبد الحميد هناك لولي العهد أهمية تقوى الله، والشكر على نعمه سبحانه و تعالى .

**5- توسيع أغراض الرسائل:** قد توسع نطاق أغراض الرسائل بيد عبد الحميد الكاتب، و أنه شمل بعض الأغراض في فن الترسل التي كانت قبله مخصوصة بالشعر مثل التعزية والتهنئة والنصح والوصف وغيرها، فقد لعب فيه دورا هاما، والمترسلون بعده أخذ طريقته في هذا المجال، فصار منشأ في هذا الباب.

**6- الاستخدام بالمحسنات البديعية:** اهتم عبد الحميد الكاتب باستخدام المحسنات اللفظية كالتضاد، والترادف، والطباق، والمقابلة، والاستعارة، والتشبيه، والمجاز، والسجع، والتوازن، كما استخدم التمييز والروابط الكلامية كأحرف العطف والجر وغيرها، و راعى التنغيمات الصوتية في السجع والتوازن والترصيع الذي يرافق السجع أحيانا، كما نجد الترادف، والسجع، والتوازن في العبارة التالية المتضمنة في رسالته إلى الكاتب، فقال: "لا تحير جوابا، و لا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا ..."،<sup>56</sup> و نرا استخدام التشبيه في هذه الرسالة: "فلم نر منظرا أحسن حسنا، و لا مرموقا أشبه شكلا، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض ..."،<sup>57</sup> شبه عبد الحميد الكاتب في هذه العبارة الروضة الخضراء المضيئة بنور الشمس بابتسام نور الشمس، أن الروضة ضاءت بنور الشمس حتى تألأت، كأنها تتبسم بالفرح والسرور.

**7- مراعاة العبارة المزدوجة:** عمد عبد الحميد إلى الازدواج، و هو إيراد عبارات متعددة متقاربة في المعنى لتأكيد فكرته، و لإشاعة جو من التنغيم الموسيقي الجميل في كتاباته، و لقد مرن عبد الحميد الكاتب على الازدواج حتى أصبح سمة غالبية على أسلوبه، كما بدا لنا في التحميد، قوله: "الحمد لله العلي مكانه، المنير برهانه، العزيز سلطانه، الثابتة كلماته، الشافية آياته، النافذ قضاءه، الصادق وعده، الذي قدر على خلقه

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

بملكه، و عز في سماواته بعظمته ...<sup>58</sup> ففي هذه العبارة المذكور استخدم عبد الحميد الكاتب الكلمات المزدوجة المتقاربة في المعنى.

**8- الاعتناء باللفظ والتفكير:** يتخير عبد الحميد في رسائله ألفاظا أكثرها وضوحا، و أجزلها معنى، و أدقها كتابة التي تخلو عن التعقيد والغريبة، كما يعتني بالتفكير المنطقي الذي تجلى في حسن تقسيم رسائله و ترتيب أفكاره، و هو كان يهتم ببسط الأفكار و توليد المعاني مع دقة في تصوير المعاني و تحليلها، كما نرى في رسالته التي كتب عن الخليفة مروان إلى ابنه عبد الله بن مروان، و هو استهلها بقوله: "فأن أمير المؤمنين- عندما اعتزم عليه، من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسرع في حيرة الجهالة، و ظلم الفتنة، و مهاوي الهلكة، ..."<sup>59</sup> و قوله: "اعلم أن للحكمة مسالك تفضي كضائق أوائلها بمن أمها سالكا ..."<sup>60</sup> و قوله:

"واعلم أن احتواءك على ذلك، و سبقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك ..."<sup>61</sup> فنحن نرى في هذه العبارات المذكورة و ما غيره أن عبد الحميد الكاتب أتى بالألفاظ الواضحة والمعاني الجزيلة والأفكار العميقة خال عن التعقد و طبق التفكير المنطقي المنظم على رسائله، فقد ظهر التسلسل المنطقي خلال عرض أفكاره بحسب الأهمية والأولوية، ففي المقدمة بين التكليف من الخليفة لولي العهد، و تعريف العدو و صفاته، ثم نطق عن أهم الآداب والأخلاق مع ذكر كيفية التعامل مع الخاصة والعامية، ثم انتقل إلى الجانب الحربي بعد بيان الجانب الأخلاقي والسلوكي، بالجملة أنه سلك الطريقة المنطقية المناسبة في عرض أفكاره في رسائله، فيستمر التسلسل في رسائله من أولها إلى آخرها بحسب المقام.

بالجملة أن عبد الحميد الكاتب كان رأس المدرسة الفنية في الكتابة العربية،<sup>62</sup> و قد وصل إلى المكانة العالية في هذا الباب بأسلوبه و مميزات كتابته، إذ أنه تفنن في كتاباته، فجمع في ترسله بين الإيجاز والإطناب، و تخير الألفاظ البليغة والمعاني الجزيلة والتفكير العميق، و استخدم القواعد البلاغية والمحسنات البديعية، و نوع الافتتاح والختام، و استعمل الملامح الدينية والآداب الإسلامية والنموذج القرآني، و اهتم بالتوضيح والتفصيل، و راعى التنغيمات الصوتية والعبارات المزدوجة، فيها استحق عبد الحميد الكاتب لقب شيخ الصناعة، و أصبح رائدا في فن الترسل.

### التفكير والتصوير في رسائله

تتجلى في سائر رسائل عبد الحميد الكاتب غزارة أفكاره، و عمق معانيه، و دقة تصويره كما تبدو فيها مقدرة بلاغته العالية، و مهارة بيانه الراقية،



و أثر ثقافته الواسع، و إن أشتات المعاني والصور تنثال على فكره و خياله دائماً فيصوغها بالمقدرة البلاغية والمهارة البيانية في قالب فني بديع، و أسلوب أدبي باهر مع التدبيح والتنميق حتى يصل إلى الغاية الفنية الأدبية.

لا يكتفي عبد الحميد الكاتب في كتابته و إنشائه بإيصال المعنى إلى ذهن السامع، بل يحاول دائماً أن يعمل على إيصاله بطريقة ممتعة، فهو يفكر أولاً معناه و مطلوبه بفكرة عميقة و يصقله، ثم يعبر عنها بالعبارة من الطريقة الفنية الأدبية عن نفسه، و يكب على عباراته و ألفاظه و يصقلها و ينقحها بدقة النظر، حتى يصبح الكلام مرناً ليناً، ينساب إلى النفس انسياباً، و يتغلغل في كيان السامع أو القاري تغلغلاً رقيقاً، و كأنه السحر الحلال.<sup>63</sup>

إن الرسائل كلها لعبد الحميد نموذج مثالي في إظهار التفكير والتصوير خاصة الرسائل الديوانية كتبها على لسان مولاه مروان بن محمد و رسائله التي كتبها للكتاب، فأما الرسائل كتبها على لسان مولاه مروان بن محمد تبين فيها أنه يفترع وضوحاً جديداً في الأدب العربي، تناول فيها الجوانب الأخلاقية والسلوكية بجانب السياسة والحرب متأثراً بثقافة عصره، فبين فيها أهم الآداب والأخلاق التي على الملوك والولاة أن يتحلوا بها مع ذكر كيفية التعامل مع العامة والخاصة، ثم انتقل إلى الجانب الحربي والسياسي و حدث فيها أمور الحرب والسياسة و آداب القواد والجيوش، حتى ظهر التسلسل المنطقي للرسالة من خلال عرضه لأفكار مختلفة حسب أهميتها و أولويتها حسبما يراه، و أما رسائله التي كتبها للكتاب تحقق فيها أنه فتح باباً جديداً في فن الترسل، وصف فيها صناعة الكتابة و وضع قوانين الكتابة والأخلاق للكتاب التي عليهم أن يتحلوا بها، و بدا في هذه الرسائل التصوير البديع، والتفكير العميق، والأسلوب الجميل والنفس الطويل حتى تعتبر دستوراً شاملاً للكتاب في أخلاقهم و عاداتهم و طباعهم.

يقصد عبد الحميد بكتاباتهِ إلى الإمتاع، فيحاول أن يقدم فكرته عند السامع أو القارئ بصورة راقية و طريقة يسيرة، يضيف إليه مادة الأناقة واللباقة و عنصر التصوير والموسيقى، والكتابة عنده فن جمالي يسير على نظام الفنون والجمال، و هو يحاول أن يستعين في كتاباته بكل جوارحه و كل ما عنده من مواهب نفسية و جمالية، و يسكب فيها ذوقه السليمة و لغته العذوبة، و يُظهر فكرته بأنامله على القرطاس باستقامة الحرف و جمال تصويره، و يبتعد عن كل اضطراب و كل نزوة عصبية، فتبدو كلماته و



## المجلة العربية

10. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922)، ج 8، ص 126
11. طه حسين (وآخرون) التوجيه الأدبي (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ب، ت)، ص 20-23
12. د. على جميل المهنا، الأدب في الخلافة العباسية (بيروت: دار الكتب، 1981)، ص 222
13. طه حسين، من تراث الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1967)، ص 223
14. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1989)، ج 1، ص 374
15. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 465
١٦. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1954)، ص 68-69
١٧. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 375
18. ابن خلكان، وفيات الأعيان (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1948)، ج 3، ص 228
١٩. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 473
٢٠. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الخامسة، 1999)، ص 143
21. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 723
٢٢. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية (لبنان: دار الكتاب، الطبعة الخامسة، 1973)، ص 283
٢٣. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 473
24. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (المطبعة البولسية، ب، ت)، ص 335
٢٥. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب (بيروت: مؤسسة المعارف، ب، ت)، ج 1، ص 118
26. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 143
27. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 723
28. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، نفس المرجع، ص 283
٢٩. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 473
٣٠. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 724
31. أحمد الإسكندري، الوسيط في تاريخ الأدب العربي و تاريخه (مطبعة المعارف، ب، ت)، ص 133
32. ابن خلكان، وفيات الأعيان، نفس المرجع، ص 228
٣٣. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 334
34. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، نفس المرجع، ج 1، ص 118
35. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 478
36. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 144
37. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، 1986)، ص 376-77
38. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 478

## فن الترسل و عبد الحميد الكاتب: دراسة تحليلية

39. نفس المرجع، ص 477
40. ابن خلكان، وفيات الأعيان، نفس المرجع، ص 228؛ - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 724
41. نفس المرجع، ص 724
42. نفس المرجع، ص 375
43. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 376
44. نفس المرجع، ص 376 - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 376
45. نفس المرجع، ص 724
46. نفس المرجع، ص 724
47. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 474
48. نفس المرجع، ص 471
85. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 724
50. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب (بيروت: المكتبة العلمية، ب، ت)، ج 2، ص 406
51. نفس المرجع، ج 2، ص 470
52. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 727
53. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، نفس المرجع، ج 2، ص 470
54. القرآن الكريم: السورة: المائدة، الآية: 3
55. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، نفس المرجع، ج 2، ص 409
56. نفس المرجع، ج 2، ص 458
57. نفس المرجع، ج 2، ص 465
58. نفس المرجع، ج 2، ص 470
59. نفس المرجع، ج 2، ص 406
60. نفس المرجع، ج 2، ص 408
61. نفس المرجع، ج 2، ص 409
62. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، نفس المرجع، ص 376
63. نفس المرجع، ص 376
64. نفس المرجع، ص 378-379

المجلة العربية

---

---